الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي – صالحي أحمد – النعامة

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والادب العربي بعنوان:

النظرية السياقية بين عبد القاهر الجرجاني وفيرث

دراسة مقارنة

ميدان اللغة والأدب العربي شعبة الدراسات الأدبية تخصص لسانيات عامة

إشراف الأستاذ: إعداد

طهراوي ياسين عزيزي محمد

حجيرة عكاشة

الموسم الجامعي

1442/1441هـ

2021/2020م

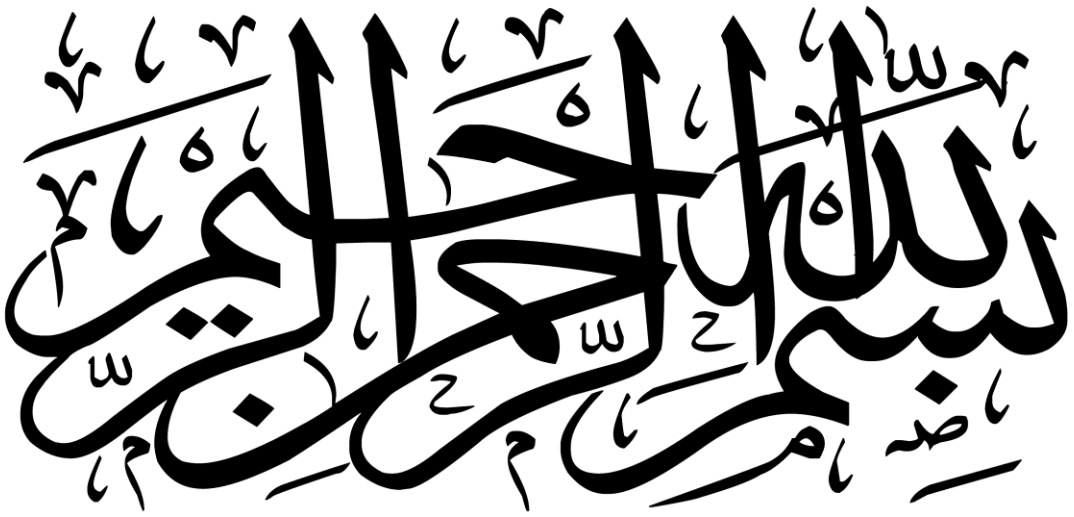
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

{ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }

صدق الله العظيم.

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة ة السلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنّ الحمد والشكر لله عزّ وجلّ الذي أعاننا على إنجاز هذا البحث، والذي يسر لي عباده الأخيار، وذوي الفضل والعلم، لإتمام هذا البحث، فالشكر لله أولا ثم جزيل التقدير والامتنان لأستاذي الفاضل {طهراوي ياسين}، على تفضله بالإشراف على هذا البحث، وعلى نصائحه وإرشاده وتوجيهاته القيّمة التي كان لها الأثر الكبير في إتمام هذا البحث.

الإهداء

إلى صاحب السيرة العطرة، والسند إلى مثلي الأعلى،

إلى من كان له الفضل الأوّل في بلوغي التعليم العالي والنجاح في حياتي

(والدي الحبيب)،

إلى من وضع المولى –سبحانه وتعالى – الجنة تحت قدميها، ووقّرها في كتابه العزيز،إلى من ضحّت من أجلي،ولو تذّخر جُهدًا في سبيل إسعادي على الدّوام

(أمي الحبيبة).

أرجو من الله أن يطيل في عمركم لتحصدوا ثمارا حان موعد قطفها بعد طول إنتظار.

إلى إخوتي؛ من كان لهن بالغ الأثر في كثير من العقبات والصعاب.

إلى جميع أساتذتي الكرام؛ ممن لم يتوانوا،في مد يد العون لي،خاصة أستاذي المشرف " طهراوي ياسين "

وإلى وجميع من وقفوا بجواري وساعدوني بكل ما يملكون، إلى من قضيت معهم أحلى الأوقات {حسين حجيرة، غلال مريم(حمين)، الحاج محمود بوعافية، مربوح عبد القادر (النحلة)}

إلى صديقي في العمل " عزيزي محمد"

إلى كل أصدقاء وزملاء الدفعة من2021/2020

الإهداء

إلى صاحب السيرة العطرة، والسند إلى مثلي الأعلى،

إلى من كان له الفضل الأوّل في بلوغي التعليم العالي والنجاح في حياتي

(المرحوم والدي الحبيب)،

إلى من وضع المولى -سبحانه وتعالى- الجنة تحت قدميها، ووقّرها في كتابه العزيز، إلى

من ضحّت من أجلي، ولم تدّخر جُهدًا في سبيل إسعادي على الدّوام

(أمي الحبيبة).

أرجو من الله أن يطيل في عمركم لتحصدوا ثمارا حان موعد قطفها بعد طول إنتظار.

إلى إخوتي؛ من كان لهن بالغ الأثر في كثير من العقبات والصعاب.

إلى زوجتي وأبنائي

إلى جميع أساتذتي الكرام؛ ممن لم يتوانوا، في مد يد العون لي، خاصة أستاذي المشرف "

طهراوي ياسين "

وإلى وجميع من وقفوا بجواري وساعدوني بكل ما يملكون، إلى من قضيت معهم أحلى

الأوقات {طواهرية، ربيعي ميلود، سليمان، ياسين، الأستاذ رميتة عبد الغاني}

إلى صديقي في العمل " حجيرة عكاشة "

إلى كل أصدقاء وزملاء الدفعة من 2021/2020

اللهمّ إنّي أسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبّتني، وثقّل موازيني، وحقق إيماني، وارفع درجاتي، وتقبّل صلاتي، واغفر خطيئتي، وأسألك الدرجات العُلى من الجنة.

مقدمة

مقدمة

لا شك في أن اللغة العربية تعد واحدة من الظواهر الاجتماعية تأثرت ولم تزال تتأثر بالعادات والأعراف والنظم الاجتماعية منذ وجودها فهي كغيرها من اللغات ليست سوى نظام من العلاقات الوظيفية والدلالية التي انعكس هذا التأثير بالحياة الاجتماعية والتي تتحكم فيها قوانين وقواعد معينة فهذا النظام يشكله نظام وتراص الألفاظ ببعضها البعض لتؤدي إلى غاية يشدها اللغويون على اختلاف توجهاتهم و تخصصاتهم ألا و هي المعنى.

ولتحقيق ذلك كان لا بد من الالتفات إلى كلام العرب الفصيح الذي نزال القرآن الكريم على منواله ومقاييسه لرصد مستوياته وخصائصه من خلال عدة ظواهر (حذف وتقديم وتضمين وترادف ...) وقد خاض العلماء العرب و البلاغيين في المجال هذا و إلى جانبهم ظهر علماء محدثون أولوا اهتماما بالغا هم كذلك باللغة و علومها و تخصصاتها و ما يحيط بها و أفردوا لها نظريات عديدة.

إن المتمعن في تراثنا اللغوي والبلاغي ليلاحظ الاسهامات الكبيرة والجهود الجبارة في ذلك، و ما تضمنته العلاقة اللغوية من مقولات لغوية مزجت بين أصالة التراث و البحث اللغوي المعاصر.

لقد اشتغلت دراسة السياق في الدرس اللغوي المعاصر حيزا كبيرا، و ارتبط ذلك بجهود كثير من علماء اللغة قديما و حديثا حتى صارت لدينا نظريات قائمة بذاتها أثرت على الحقل اللغوي و الأدبي و لعلها تداخلت و تقابلت في دراسات المواضيع ذات القيمة اللغوية الكبرى، فنظرية النظم و نظرية السياق من أروع الأمثلة التي قدمت للدرس اللغوي ككل ما اهتمامها

بالجانب الاجتماعي بعدد يضاهي ما كشفت عنه الدراسات العربية و الغربية، فالمتمعن في نظرية السياق التي تعد واحدة من النظريات اللغوية التي اهتمت بالسياق و مدى تأثيره على المعنى، اهتمت بالجانب الاجتماعي للغة فكان تناول هذا الموضوع باحثا للكشف عن مقولات لعلمائنا العرب حول السياق من زاوته المنفردة في التراث اللغوي فكان اقتارنا على ما يخدم الموضوع.

و من الأسباب التي دعتنا إلى اختيار هذه النظرية إلى جانب النظم عند عبد القاهر الجرجاني هو الوصول إلى المفهوم الذي قصده كل جانب في دراسة العوامل الخارجية للغة أثناء الكلام و كذا مفهوم السياق في كل نظرية من النظريات المطوقة، وهل السياق اللغوي القديم هو سياق المحدثين أم أن لكل سياقه الخاص؟

فكانت هذه الدراسة هي تسليط الضوء على الجهود العظيمة التي قدمها كا طرف لنظريته ترقى إلى اعتمادها كنظرية ومحاولة منا لتقديم نظرية على حدى وإبراز مواطن الاختلاف و التشابه بين كليهما ومن أجل تحقيق ذلك حولنا تتبع السياق عند كل منهما و للإجابة عن هذه التساؤلات.

إلى أيي مدى اهتم عبد القاهر الجرجاني بالسياق؟ وإلى أي مدى اهتم فيرث بالسياق؟

وإذا كان علماء العرب قديما هم السابقون إلى نظرية السياق ماذا أضاف المحدثون الغرب لهذه النظرية إذا؟ فيرث نموذجا.

ما هي أوجه التشابه و الاختلاف بين منجزات كل من الجرجاني وفيرث؟

وحتى نحصل على مبتغانا بالإجابة على كل هذه الأسئلة المطروحة فصلنا بحثنا هذا إلى فصولا ومباحث حسب الخطة الآتية منتهجين بذلك المنهج الوصفي والتاريخي في تتبع الأحداث.

مقدمة: و فيها تمهيد للموضوع مع ذكر الخطة.

المدخل: هو تعريف للموضوع المزمع دراسته.

الفصل الأول: نظرية النظم عند الجرجاني.

المبحث الأول: نبذة عن حياة عبد القاهر الجرجاني.

المبحث الثاني: نظرية النظم عند الجرجاني (حوصلة حول مجمل ما جاءت به نظرية النظم عند الجرجاني).

الفصل الثاني: النظرية السياقية عند فيرث.

المبحث الأول: نبذة عن حياه فيرث.

المبحث الثاني: النظرية السياقية عند فيرث (حوصلة حول مجمل ما جاءت به النظرية السياقية عند فيرث).

الفصل الثالث: دراسة مقارنة بين النظريتين.

المبحث الأول: أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين النظريتين.

المبحث الثاني: التركيب بين النظريتين.

الخاتمة: حوصلة حول الموضوع المتناول.

فالكتب و المصادر و على الرغم من وفرة المادة في ذلك إلا أنه يبقى من الصعب الإلمام بكل ما طرقه الموضوع لتشعب و تداخل قضاياه، فالموضوع لسنا من يقر بصعوبته و لكن من سبقنا أيضا يقر بذلك إلا أننا نأمل أن نكون قد وفينا الموضوع حقه من الدراسة وفق ما توفر من أفكار في ظل زخمها و تداخلها و تشعبها فالدرس اللغوي يحتاج للبحث فيه السنون الطوا ل و الجهود المضنية من أجل أن يأخذ حقه المشروع له و إن بذلنا جهدا فالتوفيق من الله و العون منه و لسنا ندعي بعد ذلك بلوغ الكمال و أهل العلم الذين طرحنا بحثنا بين أيديهم، الشكر الجزيل و العرفان المذكور.

مدخل

المدخل:

إن المتمعن في التراث اللغوي القديم ما كان من دراسات للكلمة و الخطاب عامة يلحظ أن للسياق تعلقا بشقيه اللغوي و الاجتماعي الأمر الذي استوقف اللغويين المحدثين فيرث في الأفق ملامح نظريا لغوية هامة كان و لا زال لها الأثر البالغ في اللغة و لها من التداول و الشرح و التحليل الحظ الأوفر فكان أولى اهتمامها ه الألفاظ كمادة للصياغة و الكلام و كونها عماد بنائها الملتحم الذي تتآلف في داخله المعاني و الدلالات هذه الألفاظ لها في اللغة العربي خصوصيات دعت إلى دراستها سواء كانت قادرة على إفادة معنى ما بمفردها أم بنظامها مع ألفاظ أخرى.

و هذه الخصوصيات لا يمكن أن تختفي أو تزول في اللغة العربية و اللغات الأخرى حتى لو عولنا على السياقات التي تنظم فيها كل لفظة فإن المعاني تبقى مشعة لها و ذلك لكونها الألفاظ تبقى مشعة دوما للمعاني المحملة بالتشابك الدلالي و اخلاف الدرجات من تضاد و علاقات أخرى.

و من بين النظريات التي أولت الألفاظ اهتمامها الحظ الأوفر من الدراسة و التناول والتداول نظرية السياق اللساني الإنجليزي جون روبرت فيرث FIRTH (1960) و الباحث الصوتي المستشرق. فقد شهد الدرس اللساني على يده تطورا نوعيا و منهجيا من خلال تطوير نظرية السياق – سياق الحال – التي تعني بالجانب الدلالي للغة الطبيعية من حيث هي لغة التواصل الاجتماعي و يعد فيرث من أشهر العلماء الذين اهتموا بالمنهج السياقي في دراسة المعاني حيث وضع تأكيدا كبيرا على الوظيفة الاجتماعية اللغة، و قد صرح بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة.

و لم يغفل العلماء العرب و اللغويون و حتى البلاغيون عن ظاهرة السياق و أثره على المعنى فقد تناولوها هم كذلك بشكل من الخيل و التفصيل و دراسة علاقتها بالقرآن الكريم من خلال محاولتهم لفهم معانيه و فهم السياق و قراءته (السياق اللغوي) فذكر الحال و المقام في إشارة إلى السياق الخارجي المحيط بالكلام فتقاطعت بذلك الآراء حول مفهومه بينهم كلغويين عرب وغربيين، فحال عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم تحديد مفهوم واضح له (النظم) والبحث في كيفية ظهور المصطلح و كيفية تحقيقه محاولا توضيح مدى إسهام نظريته في إثراء اللغة و ضبط المعنى من خلال طرح الأدوات اللغوية و وجود تراكيب و ما يبينها من فروق لغوية في أداءه و كشفها لنا و أبانها الجرجاني و هو يظهر و يبين إعجاز القرآن صياغة و تركيبا.

في الظرف المقابل نجد أن فيرث ربط جهوده بجهود كثير من علماء اللغة أمثال عبد القاهر لما شغلت دراسة السياق لديه مجالا واسعا من اهتماماته و لم يلبث حتى صارت على يده هذه الجهود نظرية متكاملة، تهتم بالسياق و مدى تأثيره في المعنى، دون الاهتمام بالظروف المحيطة بالحدث الكلامي فتأثر بها من جاء بعده من اللغويين العرب و الغربيين و انبهروا به لكونه أسس منطلقات للنظرية السياقية من خلال رفضه لثنائية ديسوسير حيث قال: (إن اجتنابي استعمال هذه الثنائيات لا ينبغي أن يفهم على أنني أقصيت مفهوم العقل تماما أو احتضنت الجانب المادي احتضانا تاما).[1]

[1] فوزي حسن الشايب، محاضرات في الليسانيات، عمان، وزارة الثقافة، 1999 م، ص103

كما ركز على المكون الاجتماعي للغة ومختلف اللغات الإنسانية فرأى أن اللغة ينبغي أن تدرس بوضعها جزءا من المسار الاجتماعي أي شكلا من أشكال الحياة الإنسانية وليس بوضعها مجموعة من العلامات الاعتباطية أو الإشارات.[1]

ومن هذه الانطلاقة أو المنظور للغة التي لها وسيلة تواصل اجتماعي ولا يمكن التخلي عنها في فهم المعاني الناتجة عن المواقف الاجتماعية المختلفة تطرق إلى دراسة مكوناتها اجتماعيا من خلال العلاقات التي تربط اللغة بالمجتمع[2]، درس مكوناتها وفق مكونات اجتماعية بحتة، و ذلك بتركيزه على مختلف العلاقات التي يمكن أن تربط اللغة بالمجتمع.

هذه المرتكزات التي قامت عليها نظريته مهمة بالمعنى – حيث يرى فيرث أنه حان الوقت للتخلي عن البحث بالمعنى بوصفه عمليات ذهنية كاملة، ونظر إليه على أنه مركب من العلاقات السياقية وذهب إلى أن الوظيفة الدلالية لا تتأتى إلا بعد ان تتجسد المقولة في الموقف فعلى المعين أي بع ان تخرج من خانة الوجود الوظيفي الكافي في حيز الوجود الاستعمالي اللفظي.[3]

وهذا يوحي إلى سياق الوقف الذي ذكره الجرجاني هو الآخر في نظريته، حيث كشف المعنى في الجملة أو النص يجب أن يصاحبه معرفة للظرف الخارجي أو المقام أو الأحوال المصاحبة للحديث كحال المتكلم أو السامع و البيئة العامة أو سبب نزول الآية أو ورود الحديث و هي ما سميت بالعناصر غير اللغوية التي تساعد في الكشف عن المعنى المراد من النص و هذه الإشارات

[1] المرجع نفسه، ص104
[2] شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، بيروت، أبحاث الترجمة و النشر، ج1، ص87
[3] فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللسانيات، المرجع السابق، ص104

قد سبقه إليها علماء آخرون مثل سبويه (765-796) عندما قال في تفسير لقوله: أتميميا مودة و قيسيا أخرى، يقول حول فهمه للعبارة هنا حال مخاطب، أو كل صور الكلام.

و عليه فقد ربط العلماء قديما فكرة المقام و المقال فوجدوا أن للفظ المجدد من سياقه لا يكشف المعنى، فكانت نظرية النظم التي قامت على دراسة السياق لتظهر هذه الأفكار صالحة لأن تكون نظرية متكاملة و قد ظهرت جهودهم فيما حواه التراث العربي من التفسير و علوم القرآن و الحديث و البلاغة و النحو و اللغة و الصرف ...[1] فتناولوا ظاهرة السياق و اكتفوا بالتطبيق لا بالتنظير من أجل فهم المعاني القرآنية من خلال ذكرهم للمقام و الحال و السياق الخارجي هو المحيط بالحدث الكلامي.

[1] محمد إسماعيل و فاطة بلة، ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، ص01

الفصل الأول

نظرية النظم عند الجرجاني

المبحث الأول: تعريف الجرجاني

الجرجاني – هو " أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن الجرجاني " الإمام النحوي وأحد علماء الكلام على مذهب الأشاعرة ولد وعاش في (جرجان) وهي مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان ببلاد فارس في مطلع القرن الخامس للهجرة ولم يفارقها حتى توفي سنة 471هـ.

كان منذ صغره محبًّا للعلم، فأقبل على الكتب والدرس، خاصة كتب النحو والأدب والفقه، ولما كان فقيرًا لم يخرج لطلب العلم نظرًا لفقره، بل تعلم في جرجان وقرأ كل ما وصلت إليه يده من كتب، فقرأ للكثيرين ممن اشتهروا باللغة والنحو والبلاغة والأدب، كسيبويه والجاحظ والمبرِّد وابن دُرَيْد وغيرهم.

وتهيأت له الفرصة ليتعلم النحو، على يد واحد من كبار علماء النحو؛ عندما نزل جرجان واستقر بها، وتمضي الأيام ليصبح عبد القاهر عالمًا وأستاذًا، واشتهر شهرة كبيرة، وذاع صيته، فجاء إليه طلاب العلم من جميع البلاد يقرءون عليه كتبه ويأخذونها عنه، وكان عبد القاهر يعتز بنفسه كثيرًا ويكره النفاق، ولا يذل نفسه من أجل المال، ووصل عبد القاهر الجرجاني لمنزلة عالية من العلم، ولكنه لم يُقَدَّر التقدير الذي يستحقه.

إسهاماته:

ترجع شهرة الجرجاني إلى كتاباته في البلاغة، فهو يعتبر مؤسس علم البلاغة، أو أحد المؤسسين لهذا العلم، ويعد كتاباه: (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) من أهم الكتب التي أُلفت في هذا المجال، وقد ألفها الجرجاني لبيان إعجاز القرآن الكريم وفضله على النصوص الأخرى من شعر ونثر، وقد قيل عنه: كان ورعًا قانعًا، عالمًا، ذا نسك ودين.

وترك الجرجاني آثاراً مهمة في الشعر والأدب والنحو وعلوم القرآن، من ذلك ديوان في الشعر وكتب عدة في النحو والصرف منها أهمها: كتاب "الإيضاح في النحو" وكتاب "الجمل"، أما في الأدب وعلوم القرآن فكان له "إعجاز القرآن" و"الرسالة الشافية في الإعجاز" ، هذا بالإضافة إلى "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" الذي أورد فيهما معظم آرائه في علوم البلاغة العربية.

منهجه العلمي:

تبحّر الجرجاني في علوم النحو واللغة والبلاغة، ووضع "الرسالة الشافية في الإعجاز" لتأكيد عمله المنهجي في هذا الموضوع المهم، وخالف رأي الكثيرين في الإعجاز، حين زعموا أن إعجاز القرآن، إنما هو "بالصرفة"، أي ان الله صرف العرب عن مضاهاة القرآن، فدفع هذه الفكرة بقوة وإصرار، وألح على تبيان فسادها في مؤلفاته عن الإعجاز، معتبراً ان إعجاز القرآن ليس "بالصرفة"، وانما هو في فصاحته وبلاغته.

ويرى الجرجاني أن الفصاحة والبلاغة، هما مصدر الإعجاز في القرآن، لا عن طريق تخير الألفاظ ولا الموسيقا ولا الاستعارات وألوان المجاز، وإنما عن طريق النظم، اذ ان نظم القرآن وتأليفه، هما مصدر الإعجاز فيه، ويقول الجرجاني: "فإذا بطل الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه.. لم يبق إلا ان يكون في النظم والتأليف".

وحمل عبد القاهر الجرجاني على النقاد الذين كانوا ينحازون إلى اللفظ ويقدمونه على المعنى، وكان يحس بوعي نقدي أن ثنائية اللفظ والمعنى عند "ابن قتيبة" هي خطر على النقد

والبلاغة، فتقديم اللفظ، قتل الفكر، لأن الفصاحة ليست في اللفظة، وإنما هي في العملية الفكرية التي تصنع تركيباً فصيحاً من الألفاظ.

ويشرح الجرجاني، نظرية الصورة المجتمعة من اللفظ والمعنى، ويشبهها بعملية الصياغة، ويعتبر أن النظم والتأليف هما الإعجاز في الكلام، والذي يحققه التفاوت، تماما مثلما يحدث النظم في الإبريسم الذي يحافظ على "العامل العمدي" في إنشاء صورة ما، وقد وضح الجرجاني المصطلح النقدي الذي أسماه الصورة في الكلام فقال: "وأعلم أن قولنا الصورة، إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا.."

ويتحدث عن البينونة بين معنى ومعنى وصورة وصورة فيقول: "ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً.. قلنا للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك"، ويرى الجرجاني أن التفاوت في الصور، هو الطريق لإثبات الإعجاز، فإذا بلغ الأثر الأدبي درجة من التميز لا يلحقه فيها أي أثر آخر، صح أن يسمى معجزاً.

أما التأكيد على الصورة فقد أبعد "الجرجاني" نفسه عن الخوض في العلاقة بينها وبين "الفاعل" لها او القوة الفاعلة لها، لأن الناقد يستكشف الجمال الفني، وان طبيعة إعجاز هذه الصورة الجمالية، هي التي تتخذ دليلا على الفاعل، دون أن تفضي الى التحدث عن مدى العلاقة بينها وبينه.

وللجرجاني رأيه في المعنى ومعنى المعنى، وهو نظرياً يتصل بتفاوت الدلالات الناجم عن طريق الصياغة. فالمعنى: هو المفهوم الظاهر في اللفظ. أما معنى المعنى، فمرحلة تتجاوز المعنى

الظاهر، إلى المستوى الفني في الكتابة والاستعارة. وفي هذه المرحلة يكون التفاوت في الصورة والصياغة.

ووضع الجرجاني كتابه "أسرار البلاغة" لدراسة معنى المعنى، حيث درس التشبيه والتمثيل والاستعارة، وألمح الى أن "معنى المعنى" يقوم على مستويات متفاوتة في الدلالة والتأثير معاً، وكانت له وقفته النقدية حين تحدّث عن التناوب بين المكني والصريح وضرورة إعلاء شأن قوة التمثيل من الزاوية العقلية بغية الوصول إلى اللذة النفسية في تتبع صور الجمال

مؤلفاته

يوجد للجرجاني أكثر من خمسين مؤلفا في علم الهيئة والفلك والفلسفة والفقه، ولعل أهم هذه الكتب: كتاب التعريفات وهو معجم يتضمن تحديد معاني المصطلحات المستخدمة في الفنون والعلوم حتى عصره، وهذا المعجم من أوائل المعاجم الاصطلاحية في التراث العربي، وقد حدد فيه الجرجاني معاني المصطلحات تبعا لمستخدميها وتبعا للعلوم والفنون التي تستخدم فيها، وجعل تلك المصطلحات مرتبة ترتيبا ابجديا مستفيدا في ذلك من المعاجم اللغوية التي يسهل التعامل معها، ويعد هذا المعجم من المعاجم المهمة، وأشار المستشرقين لأهميته الدلالية والتاريخية.

وللجرجاني عدة كتب في النحو منها : (المغني) و(المقتصد) و(التكملة) و(الجمل) وفي الشعر منها: (المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبو تمام) ، ومن مؤلفاته الأخرى : رسالة في تقسيم العلوم ، وخطب العلوم ، وشرح كتاب الجغميني في علم الهيئة، وشرح الملخص في الهيئة للجغميني، وشرح التذكرة النصيرية وهي رسالة نصير الدين الطوسي، وتحقيق الكليات.

وفاته:

توفي شيخ البلاغيين (عبد القاهر الجرجاني) سنة 471هـ، لكن علمه مازال باقيًا، يغترف منه كل ظمآن إلى المعرفة ويهدي إلى السبيل الصحيح في بيان إعجاز القرآن الكريم.[1]

المبحث الثاني: نظرية النظم عند الجرجاني

لقد كان القرآن الكريم المنطلق الأول الذي اعتمدته الدراسات اللغوية والنحوية والبلاغية فنزل القرآن أحدث ثورة في حياة الشعوب عامة والأمة العربية خاصة وأكتسب اللغة بريقا جديدا بمفاهيم ومناهج جديدة وبدأت حركات التفسير التي مست كل المواضيع اللغوية والأدبية فكان الهدف هو تذوق أسرار القرآن وبيان إعجازه والوقوف عند معانيه.

ولقد اختلف العلماء حول أسباب إعجازه فكان أن رجح قولهم بأن إعجازه من جملة بيانه وفصاحة ألفاظه ومعانيه وعلاقتها مما أعجز الشبر الفصحاء عن قول مثله، فكان لعبد القاهر نصيبه من الدراسة والتعمق والتنظير رغم سبقه علماء آخرين له ليجد مزيتهم في هذا السبق له إلا أن الفرق بينه وبينهم هو في مجال إعجاز القرآن الكريم أنه انطلق من فكرة الإعجاز القرآني واتخذها مركب لدرس كثير من قضايا النقد والبلاغة عكسهم فهو قد قرر منذ البداية في نفسه (إن القرآن معجز، وحاول أن يستكشف فيه مواطن الإعجاز) [2].

ومن هذا المنطلق جاب مباحث الألفاظ والمعاني والإيقاع والاستعارة و.... إلخ من المباحث حتى وصل إلى المنبع الحقيقي الذي ينبع منه الإعجاز ألا وهو النظم الذي تتجلى فيه الحجة القاهرة والمزية الباهرة التي أعجزت فصحاء وبلغة قريش وذوي اللسن منهم، فاللفظ وحده ليس

[1] من موقع موهوبون http://www.mawhopon.net/?p=4327

[2]- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن 2ه حتى ق8ه، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط2، 1978، ص419

بمعجز، غير أنه لو وقع في مكانه من النظم ووقع موقعه من السياق استحق الإعجاب. وهم لما تأملوا القرآن كله سورا وآيات وجدوا كل لفظة في مكانها وضمن سياقها (فأعجزتهم مزايا ظاهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع داعتهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها)[1] ويضيف قائلا أيضا (بل وجدوا اتساقا يهد العقول وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما واتقانا وإحكاما)[2].

والمتتبع لنظرية النظم عند الجرجاني نجده وقع عند خمس مفاهيم تتعلق بهذه النظرية – نظرية النظم- وجميعها تصب في مجموع الكلم الذي يؤدي إلى الإتحاد في توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وقد ذكرها بالتفصيل وهي:

1) التعلق : وهو التمسك والتشبث

فنقول : فلان أمسك بيد فلان أو تعلق بها ونقول: تعلق الغريق بعود قش أي أمس به

واصطلاحا: تعني التعلق اللفظي أو التقديري للجار والمجرور أو الظرف، وارتباطه بفعل أو ما يشبهه لإفادة المعنى.

2) درجات الاستعارة: وهي في عمومها تشبيه حذف منه (وجه الشبه والأداة وبقي المشبه والمشبه به، وأحقت لهما قرينة تدل على أن المقصود هو المعنى المستعار لا الحقيقي.

وعبد القهار الجرجاني ركز فيها على المزية والفخامة التي تخملها هذه الاستعارة، فيرى أن اللفظة المستعارة قد تستعار في مواضع عدة، فيرى لهما ذوقا وملاحة لا تجدها في باقي الكلام.

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص32
[2]- المرجع نفسه، ص32ص 47

فمثلا: قول أبي تمام[1]

لا يطمع المرء أن يجتاب لحية بالقول لم يكن جسرا له العمل

ثم يقول :

يا صرت بالراحة العظمى فلم ترها تنال إلا لم يكن جسرا من التعب

فترى أنها (كلمة جسر) ذات حسن لا تراه في البيت الأول:

وميز عبد القاهر بين نوعين :

أ- استعارة جيدة : وهي المبنية على (التشبيه والمبالغة فيه وهي الجديرة بأن تسمى كذلك فهي أشد افتتانا ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسر من اللفظ وترى بها الجماد ناطقا، والأعجم فصيحا.

ب- استعارة غير جيدة: وهي معروفة، قليلة الاتساع، كوضعهم للعضو الواحد عدة أسامي مثل قولك: زيد أسد أو أنه لغليظ الجحافل وغليظ المسافر وهنا جاء في موضع الذم[2].

عبد القاهر في باب الاستعارة ركز على العلاقات التي تحمل قيامها بين الأشياء والعلاقات هذه يحددها النظم .

3) الأسلوب:[3] لم ينظر له الجرجاني بشكل مستقل عن النظم، بل اعتبر كل نظم جيد هو أسلوب جيد

[1]- د، صالح بلعيد، نظرية النظم، ص129
[2]- د، صالح بلعيد، نظرية النظم، ص131
[3]- المرجع نفسه، ص131

4) نظرية النظم: [1] فهو التأليف والتنظيم والترتيب والجودة، ومن ذلك صنف النظم في علوم البلاغة لكونه يسعى إلى رصف الكلمات وترتيبها وجودتها وفي حسن التخير ومعرفة الموقع المناسب، وقد قامت نظرية النظم على : [2]

4.1) توفي معاني النحو

4.2) لا فصاحة للفظة المفردة.

4.3) النظم واللفظ والمعنى

4.4) النظم والجانب العقلي والنفسي

4.5) التأليف بطرق التعلق

وقد بنى الجرجاني نظرية على توخي وإصابة معاني النحو التي هي التعليق بين الكلم ومنه يمكن القول أن التأليف يطرق التعلق تنتظمها معطيات داخل الجملة بشكل تام متكامل ليصل النظام اللغوي، ويكون بهذا الترتيب:

1- ترتيب المعاني في النفس أولا (تصوير ذهني)

2- تعليق بين الأصوات والألفاظ وما تؤديه من معاني.

3- ترتيب الكلم: فصاحة الكلمة يحددها النظم

4- اعتماد معاني النحو

5- إعجاز القرآن

[1]-د، صالح بلعيد، نظرية النظم، ص125،153

[2]- المرجع السابق، ص134، 141

بهذا المنهج يكون الجرجاني قد جمع الفن والإعجاز اللغوي للقرآن وأبان عن قوة تأثيره في سامعه والوصول إلى استثمار الأصول النحوية لصالح البحث البلاغي، واستهدف بيان: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ورد ذلك إلى النظم.[1] فكان بذلك يسعى إلى وضع نظرية عميقة في النظم تقوم على العمل بأصول النحو العربي وفق خصوصياته ومرونته وقد نال أسلوبه ومذهبه الاستحسان فيرى الجرجاني أن على واضع الكلام أن يضعه بحسب ما يقتضيه علم النحو ويقتضيه قوانينه، وعليه أن يدرك أن النظم إنما يكون المعنى لا باللفظ وحده فيقول[2] (اللفظ تبع للمعنى في النظم وإن الكلم تترتب في النطق سبب ترتب معانيها في النفس) والسياق يبحث في ترابط المعاني بألفاظها وهو يختلف عن النظم لدى الجرجاني الذي هو تعليق الكلم المشروط بسبب ما، وعلماء اللغة القدماء أدركوا وظيفة (السياق ودلالته على المعاني الحقيقة للكلام فاعتمدوه بشقيه في التقعيد النحوي حيث اعتمدوا على السياق اللغوي لتبيان بنية التراكيب ودلالتها. فمثلا نجئهم أجازوا حذف أحد عناصر الجملة فخضعت لترتيب ما داخل التركيب ملتزمين بقواعد النحو واللغة من حيث اعتمادهم على المتكلم في توجيه السياق عند الاستعمال اللغوي.

وهناك طرف آخر تم الاعتناء به من الخطاب هو المستمع أو المتلقي الذي اهتم به المحدثون كثيرا والجرجاني في دلائل الإعجاز يرى أن لا نظر في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس)[3] فالسياق عنده تحكمه علاقات نحوية يقتضيها النظم فالكلمة وحدها

[1]- د، صالح بلعيد، ن النظم، ص145
[2]- ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديما وحديثا، ص58
[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص44

مفردة لا تكون فصيحة إلا إذا كانت ضمن مجموع من السياق الواردة فيه. لذلك اهتم الجرجاني بالسياق وأكد على أهمية في نقل المعاني وتحقيق الإفهام، كما أكد أهميته في النظم.

فتحدث عن السياق اللغوي في أكثر من موضع، وخصه بالإبهام والعناية في تلك المواضع، فقال: (فلو كانت الكلمة إذا حسنت من حيث هي لفظ وإذا استحفت المزية والشرف ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلفت بها الحال، ولكانت إما أن تحسن أبدا أولا تحسن أبدا)[1] وهناك سياق غير لغوي يعنى بالمحيط الذي يرد فيه الخطاب أو الكلام وهو أقرب للمقام تسوده العلاقات والقيم والزمان والمكان يقول فيه الجرجاني (وإلا أن تعلم إن هذا التقديم، وهذا التنكر أو هذا العطف أو هذا الفصل حسن، وإن له موقفا في النفس، وخطأ من العقل)[2]. ويكون هذا السياق بين شخصين حاضرا أثناء التفاهم بينهما إذ بقول فيه محمد علي الخولي (سياق الموقف المعروف حاليا في الدرس اللغوي اللساني بالسياق الذي جرى في إطاره التفاهم بين شخصين ويشمل ذلك: زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحادثين والقيم المشتركة بينهما والكلام السابق للمحادثة)[3] وهو عند الجرجاني يظم المقام في ثلاثية تتكون من مقتضيات عقلية، سياق، مقام، إذ يقول حول ذلك أن الخطاب متكامل لا يمكن فصل جانبه اللغوي عن المقام الوارد فيه ومن هنا يتحد كل من سياق الحال والسياق اللغوي ليبرز الدلالة ويفهمها الكلام ومن هنا كان للمخاطب دور هام في هذه النظرية.

[1]- المصدر نفسه، دلائل الإعجاز، ص96
[2]-عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص292
[3]- محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان ناشرون لبنان، د ط، 1991، ص259

فالجرجاني ربط الكلام بمقام استعماله مراعيا مقتضى الحال وهذا جوهر دراسة المعنى اللغوي عنده. فنظرية النظم بنيت أساسا على قضية السياق والموقف الكلامي الذي يتغير كلما تغير التركيب ويتصل بظروف العملية الابلاغية من الخطاب وطرفيه متكلم وسامع.

ثم إن الجرجاني يؤكد لنا أنه لا معنى لتفاصيل الكلمات من دون السياق الذي ترد فيه، فالسياق عنده هام لدرجة أنه يربط الكلم ببعضه (فيقول وهل يقع من وهم أن تتفاضل الكلمتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم) وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة إلا إذا كان غرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الإتقان بين هذه وتلك من جهة المعنى).[1]

يرى الجرجاني أن الجملة ذات معنى دلالي واحد لهذا وجب النظر إليها على أنها مستقلة كوحدة تامة من الجانب النحوي والدلالي وهذا يحدده موقعها من السياق.

والسياق عبروا عنه بعدة ألفاظ مثل: المقام، المقتضى ومقتضى الحال، التأليف فهو ذو مصطلحات كثيرة ومنها:

النظم وسياق النظم: يرى كثير من العلماء أن مصطلح النظم وسياق النظم وظف للدلالة على السياق اللغوي.

التأليف والتركيب والإستعمال: استخدمها العلماء في اللغة للدلالة على السياق المقالي.

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص38

النسق ونسق الكلام:

وظف لفظ النسق أو نسق الكلام للتعبير عن السياق اللغوي عند الأصوليين ومعناه (نسق الكلام) عطف بعضه على بعض وترتيبه ومنه حروف النسق أي العطف .

السياق: ويراد منه ما يسبق اللفظ ويستخدم في حالتين:

مستقل عن السياق أو اللحاق. فيقال دل عليه السياق والسياق أو السياق واللحاق.

وإما هرونا بلفظ السياق وهنا دل على سابق القول والمعنى المشترك، لكلمة سياق في المعاجم هو التتابع والسير والمجاراة والملاءمة والنزع

عمد الجرجاني في دراسة للوظيفة إلى دراسة الموقف أو الحال الذي يرد فيه الكلام وبين العلاقة بينه وبين السياق الكلامي الذي يدخل فيه هذا الكلام بإعتبار أن السياق الكلامي إنما هو تتابع لفظي قد يكون منطوقا أو مكتوما، يتكون من جمل تتكون هي الأخرى من كلمات (تتحدد البنية الشكلية للتراكيب على علاقات سياقية كلامية متنوعة).

ومن هذه العلاقات تكتسب الكلمة دلالات مختلفة تبعا للسياق الذي ترد فيه وحسب موقعها من الكلام ومدى تعالقها وانسجامها مع ما يجاورها من كلمات أخرى قبلها أو بعدها ولهذا ربط عبد القاهر الجرجاني بين النحو والمعنى داخل السياق الكلامي وقال أن اللفظة لا معنى لها خارج هذا السياق حتى توظف فيه.

كما يرى الجرجاني عبد القاهر أن الكلمة (ترتيب في النطق نتيجة ترتب معانيها في النفس) وهذا داخل سياق لغوي واحد.

وعليه يمكن القول أن العلماء العرب لغويين وبلاغيين تناولوا ظاهرة السياق وأثره على المعنى وأهملوا بذلك لصلتها بالقرآن الكريم فأكتفوا بالتطبيق لا التنظير ولقد فهم من ذلك هو الإهتمام يفهم المعاني القرآنية فصرحوا بذكر السياق وقرائنه (سياق لغوي): وذكروا المقام والحال وأرادوا به السياق المحيط بالحدث الكلامي

فالسياق إنطلق من تحديد المعنى اللغوي الذي توضع فيه الكلمات والسياق غير اللغوي مشتملا في ذلك جل المستويات الصرفية والصوتية والدلالية والمعجمة والنحوية وما يحيط بالنص من ظروف وأحوال.

ومنه إلتقت نظرية السياق عند الغربيين (فيرث) بمفهوم السياق عند العرب القدامى (الجرجاني). في كثير من الأوجه وإختلفت فقط في المنهج والمصطلحات والزمان والمكان.

الفصل الثاني

النظرية السياقة عند فيرث

المبحث الأول: تعريف جون روبرت فيرث

وُلد اللغوي جون روبرت فيرث في السابع عشر من شهر يونيو في عام 1890م في كيلي في مقاطعة يوركشاير في المملكة المتحدة، وتوفي في الرابع عشر من شهر ديسمبر في عام 1960م في ليندفيلد غرب ساسكس، وهو معروف أيضًا باسم جي آر فيرث. يُعد اللغوي جون روبرت فيرث لغويًا إنجليزيًا وشخصية بارزة في علم اللغة البريطاني خلال فترة الخمسينيات من القرن الماضي، وكان أستاذًا للغة الإنجليزية في جامعة البنجاب من عام 1919م وحتى عام 1928م.

يُعد اللغوي جون روبرت فيرث لغويًا إنجليزيًا وشخصية بارزة في علم اللغة البريطاني خلال فترة الخمسينيات من القرن الماضي، وكان أستاذًا للغة الإنجليزية في جامعة البنجاب من عام 1919م وحتى عام 1928م.

ومن ثم شغل منصب أستاذ في قسم الأصوات والصوتيات في كلية لندن الجامعية قبل أن ينتقل إلى كلية الدراسات الشرقية والأفريقية. حيث أصبح أستاذًا في علم اللغويات العامة، وهو المنصب الذي شغله حتى تقاعده عام 1956م

مساهمات اللغوي جون روبرت فيرث في علم اللغة:

كان لعمل اللغوي جون روبرت فيرث على العود سبب لدراسته علم الأصوات والصوتيات، فلوحظ أن جون روبرت فيرث لفت الانتباه إلى طبيعة المعنى التي تعتمد على السياق مع مفهومه عن سياق الموقف. حيث كان لعمله على المعنى المهني معترف به على نطاق واسع في مجال دلالات التوزيع اللغوي.

عمل اللغوي جون روبرت فيرث لمدرسة لندن:

كمدرس في جامعة لندن لأكثر من 20 عامًا، أثر اللغوي جون روبرت فيرث على جيل من اللغويين البريطانيين. وأدت شعبية أفكاره بين المعاصرين إلى ظهور ما كان يُعرف باسم مدرسة لندن لعلم اللغة.

ومن بين طلاب اللغوي جون روبرت فيرث، كان مايكل هاليداي، الذي كان أستاذًا في علم اللغويات العامة في جامعة لندن من عام 1965م وحتى عام 1971م، مثالًا على ما يسمى بالطلاب الذي يمشى على خطى معلمه. شجع اللغوي جون روبرت فيرث عددًا من طلابه اللذين أصبحوا فيما بعد لغويين معروفين، على إجراء أبحاث حول عدد من اللغات الأفريقية والشرقية. وعمل طالبه تي أف ميتشل على اللغتين العربية والبربرية، وطالبه الآخر فرانك بالمر على اللغات الإثيوبية، بما في ذلك لغة تيغري ومايكل هاليداي على الصينية.

كما عمل معه بعض الطلاب الآخرين اللذين لم تكن لغتهم الأم اللغة الإنجليزية، مما أثرى نظرية اللغوي جون روبرت فيرث في التحليل الإيقاعي. وكان من بين طلابه المؤثرين علماء اللغة العرب إبراهيم أنيس وتمام حسن وكمال بشير.

وحصل اللغوي جون روبرت فيرث على العديد من الأفكار من العمل الصوتي المنجز، كما أنه حصل على العديد من الأفكار من العمل الذي قام به طلابه في اللغات السامية والشرقية، لذا فقد ابتعد بشكل كبير عن التحليل الخطي لعلم الأصوات والتشكيل إلى المزيد من التحليل النحوي والنموذجي.

وكان من المهم بالنسبة للغوي جون روبرت فيرث التمييز بين مستويين من الصوتيات الأنفية والحلقية. حيث مهد هذا التحليل العام الطريق لعلم الأصوات ذاتي القطع، على الرغم من أن العديد من اللغويين اللذين ليس لديهم خلفية جيدة عن تاريخ علم الأصوات، إلا أنه بسط هذا العلم بأبسط صورة.

الأعمال المنشورة للغوي جون روبرت فيرث:

- في عام 1930م، قام اللغوي جون روبرت فيرث بتأليف كتابه الكلام. وطُبع في لندن في المملكة المتحدة في مطبعة مكتبة بين سايكس بيني.
- في عام 1937م، قام اللغوي جون روبرت فيرث بتأليف كتابه ألسنة الرجال. وطُبع في لندن في المملكة المتحدة في دار نشر واتس وشركاه.
- من عام 1934م وحتى عام 1951م، قام اللغوي جون روبرت فيرث بتأليف كتابه أوراق في اللغويات. وطُبع في لندن في المملكة المتحدة في مطبعة جامعة أكسفورد. وبعدها في عام 1957م، تم إعادة طباعة هذا الكتاب مرة أخرى.
- من عام 1930م وحتى عام 1955م، قام اللغوي جون روبرت فيرث بتأليف وتحرير كتابه ملخص للنظرية اللغوية. وطُبع في مطبعة دراسات التحليل اللغوي ومطبعة بلاكويل ومطبعة أكسفورد.
- وفي عام 1957م، تم إعادة نشر هذا الكتاب للمرة الثانية في مجلة دراسات التحليل اللغوي.

- من عام 1952م وحتى عام 1959م، قام طلاب اللغوي جون روبرت فيرث على شرفه، بتأليف كتاب أسموه مجموعة أوراق مختارة لكافة مؤلفاته. حيث لاقى هذا العمل رواجًا كبيرًا؛ وذلك لأنه كان عبارة عن يشمل من كل عمل مقتطفات جعلته كتابًا متكاملاً.
- قام طلاب اللغوي جون روبرت فيرث بتأليف كتاب سُمّي ذكرى جون روبرت فيرث، وكان يشمل معظم أعماله في علم الأصوات والصوتيات.
- قام اللغوي جون روبرت فيرث بتأليف كتابه مدرسة لندن للغويات (دراسة في النظريات اللغوية).[1]

المبحث الثاني: النظرية السياقة عند فيرث

تعددت النظريات اللغوية في دراسة المعنى فكان النظرية الإيشارية على يد أوجدن ريتشاردن، والنظرية التطورية التي تنسب إلى الفيلسوف الإنجليزي جون لوك، و السلوكية التي تنسب إلى ببليوموفيلد، فرغم تعدد هذه النظريات إلا أنها لم تقدم نظرية متكملة كما فعل فيرث مع النظرية السياقية. لقد كانت إرهاصات السياق الأولى التي ظهرت مع الأنثربولوجيا و مع بزوغ الدور الاجتماعي الذي يتوج به المتكلم و الكل مشترك في فعل الكلامي، الشغل الشاغل في دراسة السياق في مجال واسع حتى الدرس اللغوي المعاصر، و كان للعديد من العلماء جهود مبذولة حيال ذلك و قد سبقه في ذلك الاهتمام العالم اللغوي (برونسلا و مالينوفسكي) (1884-1942) بدراسة عديد من اللغات البدائية من أجل الوصول إلى ترجمات مرضية لما وجد أنها لا يمكن أن تؤدي معنى، إلا إذا عرفنا الحال التي كان عليها المتكلم.

[1] من موقع الآداب/اللغوي-جون-روبرت-فيرث-https://e3arabi.com/john-rupert-firth

و كان ذلك في جزر ترويدياند حيث وجد صعوبات في ترجمة النصوص و أيقن انه لا يمكن أت تؤدي معنى إلا إذا عرفت الحال التي كان عليها المتكلم أثناء نطقه لها فاللغة وسيلة اتصال بين البشر كما يراها مميزا في ذلك بين استعمال سياق الحال contest of sitiation أي الموقف اللفظي الذي حدث فيه الكلام كون اللغة لديه ترتبط بالمجتمع الذي يستخدمها و بينما جاء به الفرنسي جوزيف فيندرياس الذي جاء بعده من خلال اهتمامه بسياق المقال عندما يقول إننا حينما نقول بأنه لاحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد، تكون خدعة لأنه لا يطفوا في الشعور معان مختلفة تدل عليها إحدى الكلمات إلا ما يعنيه سياق النص أما المعاني الأخرى فتزول و تتبدد و لا توجد إطلاقا.[1]

فالكلمة الواحدة لها معنى واحد داخل السياق لا غير و هو ما يؤدي إلى معنى أو الدلالة الحقيقية للكلمة من خلال السياق الذي بدوره ينقسم إلى نوعين هما:

01- السياق اللغوي: (contexte linguistique)

أو السياق الداخلي للحدث اللغوي و هو يتمثل في المستويات النحوية – المعجمية و الدلالية و الصوتية – و هذه الأخيرة هي الوظيفية للأهم كون دراسة الأصوات لها أهمية كبرى بحيث لا يمكن أن تدرس اللغة منطوقة ما لم تدرس الصوت و التنظيم فمثلا: نجد ذلك من خلال علم الصرف أو النحو، يقول فيرث حول ذلك (لا يمكن أن تتم دراسة جادة لعم المعنى الوصفي لأنه لغة منطوقة ما لم تعتمد هذه الدراسة على قواعد صوتية و ألفاظ تنظيمية موثوقة لها).[2]

[1] جورج فندريس، اللغة، تر:عبد الحميد الداوخلي، محمد قصاص، د.ط، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، 1995م، ص228
[2] مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2002، ص33

كما عالج فيرث العلاقة البنيوية و السياقية بين المفردات المعجمية في هذا السياق من خلال منظوم المصاحبة أو التلازم أو ما سمي بالاقتران اللفظي أي تلازم وقوع كلمة مع كلمة أخرى مثل ذلك: الشتاء و المطر الحر و الصيف الليل و الظلام ... فهي تقرر موقعها خلال ورودها في البنية السياقية المعجمية للعبارة.

- سياق الحال: أو السياق الخارجي أو الاجتماعي الذي يتم المعنى بحيث لا يمكن التخلي عنه في تفسير اللغة لأن الناحية الاجتماعية المعنى مهمة جدا، فهي للإطار الخارجي للحديث الكلامي و يمثل كل الظروف المحيطة سواء كانت نفسية أو اجتماعية أو ثقافية للمتكلمين أو المشاركين في ذا الحدث الكلامي و هو مفتاح التسجيل اللغوي لفهم المعنى حسب فيرث.

يقول تمام حسان حول أهمية المنهج السياقي في الوقوف على المعنى الدلالي و إبرازه خاصة النصوص التطوقة الحاضرة المقام و المكتوبة ذات المقام المنقضي امعاد وصفا تاريخيا لقد تفاعل كل من اللغويين لعرب المحدثين و اللغويين الغربيين منطلقين في دراسة النظريات الدلالية منها نظرية السياق من خلال الربط بين الشكل و الوظيفة كما فعل تمام حسان عندما تطرق إلى المجاورة في السياق بين الكلمات وعدها نواة الدلالة كما فرق بين المعنى المعجمي و الوظيفي حيث وضع مسائل الربط في السياق على النحو التالي:

- وسائل التماسك السياقي
- وسائل التوافق السياقي
- وسائل التأثير السياقي

و قد تناول العلماء العرب اللغويين البلاغيين ظاهرة السياق و أثره على المعنى و ذلك لعلاقتها الوطيدة بالقرآن الكريم و كانوا من بالمكتفين بالتطبيق لا التنظير و حاولوا فهم معان القرآن من خلال ذكر السياق و قراءته (السياق اللغوي) كما ذكروا المحال و المقام و هم يريدون لها (السياق الخارجي) المحيط بالفعل الكلامي فتقاطعت بذلك آراؤها خاصة حول مفهوم السياق عربا و غربيين كابن الجني و الجرجاني و آخرون فقد أدرك ابن الجني مفهوم السياق الاجتماعي (سياق الحال). فكل من يريد تحديد المعنى عليه الإحاطة بالظروف المحيطة بالحدث الكلامي كما يقول عبده الراجحي (في فقه اللغة في الكتب العربية): أن يحيط بالظروف التي تحيط بالكلام، فيجمع بين السامع و الظروف التي تنوب عن المشاهدة و الحضور[1] حيث يؤكد ابن الجني على سياق الحال معرفة فيسوق لنا حديثا بقوله: أن رجلا قطعت إحدى رجليه فرفعها و وضعها على الأخرى، ثم صرخ بأعلى صوته فقال الناس: رفع عقيرته أي رجله المقطوعة.[2]

و قد التقى تعريف عبد القاهر الجرجاني للمعنى من خلال نظرية النظم مع النظرية السياقية عند فيرث في تعريف المعنى هو الآخر، فعرف الجرجاني السياق في قوله: (تعليق الكلام بعضها ببعض، وجعل بعضها سببا من بعض).[3] ثم جاء كمال محمد بشير الذي يرى في نظرية السياق من خلال كتابه (دراسات في علم اللغة) (1969) من خلال تعرضه لنقد التراث العربي و دراسته حيث سجل في كتابه بالعرب مبدآن هما : جمع اللغة، و مقام الكلام و ظروفه. و من هذا المقام تناول حديثه عن المقال أو مجريات الحال أو ما أطلق عليه المسرح اللغوي، و هذا هو

[1] عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص167
[2] أبو فتح عثمان ابن الجي، الخصائص، ص262
[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، اعتنى به محمد علي زينو، بيروت، مؤسة الرسالة، ناشرون، ط1، 2005، ص15

المعنى عنده حيث يقول: (والمقام في نظرنا ليس مجرد مكان يلقى فيه الكلام، و إنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة أخذهما بحجز البعض).[1]

و قد طالب بتطبيق هذه النظرية كاملة في جميع مستويات الدرس اللغوي حتى على اللغة المكتوبة وهو بذلك يؤسس إلى أنه لا يمكن تطبيق نص لغوي إلا باستنطاقه من خلال استحضار كل جوانب البيئة آنذاك زمانا و مكانا و شخصيا و أحداثهما يحقق للنص عناصره الكاملة و عليه فقد كانت محاولته للنظرية أكثر منها تطبيقية، أما تمام حسان فخالف ذلك كما أن هناك محاولات لغويين عرب أمثال محمود سعران (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي).

حلمي خليل في كتابه (الكلمة دراسة لغوية معجمية) و محاولات في كتابه (العربية و علم اللغة البنيوي) و تعد هذه الخطوة يمكن أن نعرج على أهم ما يميز التحليل السياقي من مراحل و خطوات من اجل معرفة الوظائف اللغوية في مواقفها المعينة و نبدأ بـ:

- مراحل الاعتماد على سياق الحال أو المقام و ما يتصل بها من ظروف أثناء الكلام اللفظي و يندرج ضمنها المتكلم و السامع كشخصيات يتكون بينها الثقافي و كذا ما يحيط بها و كل ما يصدر منها وهذا يبرر الدور الاجتماعي الذي يبديه المتكلم و كل من يشاركه في هذا الموقف الكلامي.
- مرحلة تحديد بيئة الكلام المدروس لضمان عدم الخلط بين المستويات اللغوية.

[1] بوزبوجة عبد القادر، نظرية السياق عند اللغويين و البلاغيين العرب، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، كلية الأدب و اللغات و الفنون، 2006-2007

مرحلة تحديد الكلام إلى مكوناته الأولى للكشف عما بينها من علاقات داخلية للوصول إلى المعنى المتصل بالمستويات الصوتية و المعجمية و النحوية و الدلالية و بهذا المنهج يشمل مفهوم نظرية السياق عند (فيرث FIRTH).[1]

[1] محمد سعران، علم اللغة،كمال، ص311-312 كمال محمد البشير، دراسات في علم اللغة، القسم الأول، ص172-174 دار المعارف، القاهرة، ط2، 1917.

الفصل الثالث

دراسة مقارنة بين النظريتين

المبحث الأول: دراسة مقارنة بين النظريتين

يعد النظم مثالا حيا لتكامل المعازف و تفاعل الأنساق إذ يتقاطع معرفيا مع كثير من النظريات اللسانية الحديثة و المعاصرة و ذلك بفضل ما يحويه من رؤى بلاغية و لسانية قابلة للقرض والاقتراض مع أحدث النظريات الغربية. و قد اهتم النحات و اللغويون النقاد و البلاغيون العرب لمسألة النظم، منذ عصر تأسيس الدرس اللغوي غير أن معالجتهم لهذا الموضوع كانت ضيقة حيث لم يعمقوا في دراسته، و لم يحددوا أبعاده و شروطه، حيث جاء عند عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس هجري و تناول موضوع النظم بالدراسة و بين وظيفته في المجال اللغوي تنظرا وتطبيقا في مؤلفين هما (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) كما تمكن من وضع أسس النظرية اللغوية تعتمد أساسا على النظم وفق منهج وصفي يبرز في دلائل الإعجاز.

فهو بذلك قد أقام هذه النظرية من فهمه لأفكار القدامى و إعادته صقلها، معتمدا إياها أرضية لدراسة اللغة وفق منهجية جديدة و قد كان النظم منذ وضع اصطلاحه الجاحظ (868م) معللا به الإعجاز القرآني و تمسك به الأشاعرة بعد ذلك، و قد كان النظم منذ القرن الثاني هجري، لم يكن يقتصر على حركات الإعراب وفقط، بل تجاوز ذلك إلى تأليف الكلمات و ارتباط الجمل.

و قد شكل تراث عبد القاهر الجرجاني في البلاغة العربية مجالا خصبا للبحث و التداول في الفكر اللساني المعاصر و رغم أنه لم يكن أو من اهتم النظم، إلا أنه بحث فيه مظاهر إعجاز القرآن الكريم مستفيدا من جهود سابقيه، ليصل إلى أن النظم يرتبط بكيفيات خاصة تدخل فيها الألفاظ في تراكيب خاصة متفاعلة فيما بينها لتنتج لنا هذا النظم المتماسك حسب سياق

اللفظ و مقاصد المتكلم البلاغية من اختبار و أمر و غير ذلك من المعاني الناتجة حيث يقول في كتابه دلائل الإعجاز (ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها إلى التأليف و قبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا و أمرا و نهيا)[1] و يواصل قوله ذلك (وتؤدي في الجملة معنا من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة و بناء لفظة على لفظة ثم هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من حاجياتهما على ما هي موسومة به.[2]

لقد كانت دراسة اللغة العربية في تراكيب الكلام و نظمه و ربط أجزاءه مجال اهتمام لعدد كبير من الدارسين الباحثين،[3] فكانت قضية اللفظ و المعنى شغلهم الشاغل و التي اكتملت في القرن الخامس الهجري على يد عبد القاهر الجرجاني فلم تكون نظرية النظم عند وليدة الصدفة بل نتيجة جهود فكرية متواصلة تظافرت لها جهود عديد الباحثين و اللغويين فكان طريقه إلى هذه النظرية معبدا أنارته آراء سابقيه.

فالألفاظ لا توجب الإعجاز وحده لأنها ليست غريبة على العرب و كذلك المعاني بل الإعجاز يكمن في النظم الذي يراعي معاني النحو و الملائمة بينهما و بين المعاني النفسية في تركيب الكلام. يقول الجرجاني: ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض و جعل بعضها بسبب من بعض[4] و يقول أيضا إعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها و لا تخفض الرسوم التي

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص05
[2] المرجع نفسه، ص05
[3] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986، ص174
[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص52

رسمت لك فلا تحل بشيء منها و ذلك أنا لا نعلم شيئا يقتضيه الناظم بنظمه غير ان ينتظر في وجوه كل باب و فروقه.[1]

لقد شكل هذا النص بالتحديد مفتاحا مهما لنظرية النظم لدى الجرجاني التي تعددت وجوهها بين هذه الوجوه فروقا في المعنى و كيفية آدائه، حاول إظهارها و إظهار أوجه الإعجاز القرآني من خلال التراكيب و ما تؤديه من فروق في الأداء. فقد نبه إلى أن توالي الألفاظ نطقا بتناسب الدلالات و تلاقي المعاني على الوجه الذي يقتضي العقل و النظم يعتمد على الاختيار و الانتقاء أفضل في المجموعة اللغوية من كلمات الشكل و وحدات كلامية منتظمة بطرق معروفة يتحكم فيها النظام و القواعد النحوية و هذا ما دل عليه نصه السابق.

لقد أخذ شرح النص من عبد القاهر في كتاب (الدلائل) كله فكان من وجوهه علم الدلالة والبلاغة و علم الأسلوب و كذلك اللّسانيات،[2] حيث أثرى اللغة بذلك و هو ما جعل الدارسين يوظفون مفهوم النظم كل حسب مجال تخصصه كونها نظرية عميقة تناولت ظواهر متعددة في اللغة بين من خلال وحدد المعنى و ضبطه فقد نقد إلى حجم الظاهرة النصية و هو ما تؤكده الدراسات اللسانية الحديثة.

فهو دعى إلى توخي معاني النحو التي لا تقف عند الجملة و حدودها، با تتجاوزها لما بين الجمل من ترابطات و تعلقات نصية فهو تحليل لغوي يعتمد على القواعد النحوية دون اعتماد حركات أواخر الكلمة اعتمادا كاملا و الهدف منه الفهم و الإفهام، فالنظم إنما يكون بالمعنى لا باللفظ وحده رغم كون النظريتين متقاربتين تقاربا كبيرا و ملموسا من خلال ملامح السياق التي

[1] المرجع نفسه، ص122

[2] بشير إبرير، مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الأول، 2006، ص106

درسها الجرجاني وفيرث كل على حدى و في زمانه الخاص و مكانه الخاص و منهجه كذلك. و رغم أن القضية المدروسة اهتم بها علماء اللغة قديما حيث ربطوا السياق بالمعنى و مدى تأثيره عليه و لم يهملوا بذلك الظروف الخارجية المحيطة بالحدث الكلامي من خلال ربطهم بفكرة المقام و المقال و استنتاجهم ان اللفظ المجرد من سياقه لا يكشف المعنى، و هو ما كشفه الجرجاني طبقا حين أبدع نظرية النظم.[1] وأدركوا وظيفة السياق و دلالته على المعاني الحقيقية للكلام فربطوا الكلام بمقام بالاستعمال و اعتمدوا على السياق اللغوي و غير اللغوي و لكن نظرية السياق عند فيرث ترى أن المعنى نتيجة علاقات متشابكة ومتداخلة فهو ليس فقط وليد لحظة معينة مما يستلزم مصاحبتها للصوت و الصورة[2] ويرى فيرث أن النظام مجموعة من الخبرات الكلية المتبادلة التي تدخل في العمل عند نقطة ما في البناء اللّغوي، و الكلام هو مجموعة من الوحدات اللغوية المنتظمة بعضها إلى بعض في اتجاه سياق واحد.

أما الجرجاني فقد بدأ حديثه عن النظم حيث قال: معلوم أن النظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها بسبب من بعض و الكلام ثلاث إسم و فعل و حرف للتعليق فيما بينها طرق معلومة، و حرف بين الحروف المنظومة و الكلمة المنظومة فقال و ما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك و النظم عند الجرجاني كلام يتكون من مجموعة ألفاظ تخضع الألفاظ لقوانين علم النحو و أصوله و عليه فالنظم عنده يعتمد على مراعاة النحو و معرفة مناهجه حيث يقول: فلا ترى كلاما قد وصف بصحة النظم أو فساده، أو وصف بمزية و فضل فيه إلا و أنت تجد

[1] نريمان براح، النظرية السياقية، الدرس اللساني قديما و حديثا، مذكرة نيل شهادة الماستر، 2014-2015، ص167
[2] يحي أحمد، الإتجاه الوظيفي و دوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، بيروت، م2، ط3، 1998م، ص82

مرجع تلك الصحة و ذلك الفساد، و تلك المزية، و ذلك الفعل إلى معاني نحوية و أحكامه و حدته تدخل في أصل من أصوله، و يتصل بباب من أبوابه. [1]

و هو بذلك يقصد التحليل الذي يرافقه لاستيعاب النص و فهم معانيه، و تجاوز الاهتمام بالحركات فقط في أواخر الكلم، فمعاني النحو لدى الجرجاني اعتبرها وسائل لفهم الأسلوب فاعتبر أحكام النحو أدوات تحليل النص الأدبي.

ينطلق فيرث في دراسته للسياق من دراسة تحديد للمعنى اللغوي، الذي تندرج فيه الكلمات ثم يحدد السياق غير اللغوي، لأن السياق في اللغة يدرس المستويات الصرفية و النحوية و الدلالية والصوتية و المعجمية ... إضافة إلى كل ما يحيط بالفعل الكلامي أو الظاهرة الكلامية من ظروف وأحوال.

و كان مصطلح سياق الحال متداولا قبل ذلك إلا أنه يعد تفسيرها ليونفسكي الذي يجمع اللغويون على أنه هو صاحب الفضل في ظاهرة النظرية السياقية إلا أنه واجه مشاكل عديدة في الدراسة خاصة دراسة اللغات القديمة لأن وظيفة اللغة عنده كانت (أسلوب عمل) و ليست توثيق أفكار. [2]

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص123
[2] بالمر، ف.ر، علم الدلالة، إطار جديد، ترجمة صبري السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1999 ص76

المبحث الثاني: أوجه التشابه بين النظريتين

يلتقي مفهوم السياق عند عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم مع مفهوم السياق عند اللغوي فيرث فيما يلي:

- النظرية السياقية لها جذور في التراث العربي القديم و الجرجاني أدرك وظيفة السياق و دلالاته على المعاني الحقيقية للكلام فربطه بمقام الاستعمال.
- النظرية السياقية تم الاهتمام بها من طرف فير ث فقط.
- تنبه علماء اتلبلاغة إلى أهمية السياق و خاصة الجرجاني من خلال كتابه دلائل الإعجاز، فبنى نظرية النظم على ذلك الأساس (تبحث في جوهر الكلام و دلالاته).

كما أولى فيرث الأهمية الكبرى لعلم الدلالة من أجل توضيح معناه، فيمر بين نوعين من العلاقات التي تربط الألفاظ: علاقات داخلية (شكلية) و علاقات موقفية (مواقف).

- ظهر السياق اللغوي عند الجرجاني بمفهوم عام لغوي (تركيب إلى شاهد إلى قرائن) كما ظهر السياق اللغوي كذلك لدى فيرث.
- و النظرية السياقية عرفها العلماء العرب قديما و خاصة علماء البلاغة و الأصول، و الجرجاني، و أحد من هؤلاء. و قد دل على ذلك كتاباتهم التي أشارت إلى أهمية السياق و استخدامه في فهم دلالة النص و الوصول إلى معانيه.
- اهتم الجرجاني باللغة لغة القرآن و قد قرر في نفسه منذ البداية أن القرآن معجز حاول أن يستكشف فيه مواطن الإعجاز، فرفض أن تكون الألفاظ المفردة أساس الإعجاز القرآني سنده أن هذا الاعتقاد يجعل الألفاظ تحمل صفة الإعجاز منذ تواضع التالي عليها.

و اللغة نظام دلالات يعبر بها عن معاني الظاهرة اللغوية، فاللغة جاءت لإبانة المعاني فلو قلنا جواز وضع لفظ واحد لمعنيين مختلفين أحدهما ضد الآخر لكان ذلك غموضا، و نحن نحتاج للإبانة لا للغموض.

و قد يكون شيء من ذلك للعلل فيظهر على أنه لمعنيين و هو صحيح عند العرب سماعا، فهو لحذف أو اختصار في الكلام فقط و هو ما يجعل السامع لا يدرك و يقع في الخطأ و الإبهام.

- تنبه علماء البلاغة إلى أهمية السياق في الكشف عن بلاغة الكلام، فاهتموا بسياق الموقف الذي يدعونا إلى اختيار الألفاظ.
- بينما اهتم فيرث في نظريته للسياق الخارجي أو سياق الموقف أو السياق غير اللغوي الداخلي أو السياق النص و أن السياق الداخلي لا يتجاوز وظائفه خارج حدود النص، أي بحث علاقة الكلمة بالأخرى و الكلمة بالجملة و الحروف و الأصوات بالكلمة.
- يرى عبد القاهر الجرجاني أن النظم هو تعليق الكلم و هو مشروط لسبب ما، لا يمكن لتعليق أن يقوم بين الكلام دون سبب يجعل اللفظة بسبب أخرى، و هو يعتمد على توالي الألفاظ نطقا، و على تناسب الدلالات، و التقاء المعنى كما يقتضيه العقل. و النظم عنده يعتمد على الانتقاء و الاختيار المميز و الأفضل من بين عدة اختيارات لغوية حاضرة و هو وحدات كلامية تتفق و تنظم بطرق خاصة لنظام نحوي و سياق لغوي واحد.

و هذا المفهوم له عند فيرث و أتباعه نظرة موافق للجرجاني و هو مفهوم القواعد النحوية التي تتكون من عناصر لغوية (الصفة النحوية/الإعتماد على المعنى و الرتبة) و كذلك التراكيب التي تحدد لنا الخصائص البنيوية و النحو في ذلك مبني على تعدد وظائف اللغة حسب

التركيب اللغوي للتعبير عن الأفكار. و لهذه القواعد و الوظائف في هذه اللغة كمثلها البنية مرتبطة بنشاط لغوي، و البنية الاجتماعية. هذه الوظائف تؤديها وسائل السياق هي: التمثيلية، التعاليقية و النصية كما يراها هاليداي.

و يرى فيرث أن النظام مجموعة خبرات متبادلة تدخل في العمل عند نقطة معينة في البناء اللغوي، كما أن الكلام هو مجموعة وحدات لغوية في سياق واحد منتظم.

- و هنا يلتقي كل من الجرجاني و فيرث في مصطلح النظم و النظام، و عنصر الانتقاء لتشكيل النص البناء اللغوي (لفظا و دلالة).
- يتفق كل منهما غلى ضرورة السياق الواحد الذي تترتب فيه الوحدات اللغوية.
- يرى علماء اللغة فضلا عن دارسي الدلالة أن هناك أوجه التقارب بين نظرية النظم و السياق.

يقول فيرث أن المعنى كله و ظيفة في السياق تتحده العلاقة بين المواقف.

يرى علماء اللغة أن التفاعل بين عناصر اللغة النحوية و الدلالية متكاملان أي أن العنصر النحوي يمد العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة، و العنصر الدلالي يمد النحوي جوانب لتحديده وتمييزه (فهي عملية أخذ و عطاء) مثلا زمة و دائمة.

- النظم عند الجرجاني يقوم على مراعاة النحو و معرفة منهاجه و هو مجموعة الألفاظ الخاصة لقوانين علم النحو و أصوله و أنه لابد من مسند و مسند إليه كونهما ركنا الجملة و أنه لا يكون كطلام من حرف و فعل، و لو من حرف و إسم إلا في النداء، فالنظم حكم من قواعد تحكم اللغة دون الخضوع للحركات في أواخر الكلم، من أجل الفهم.

كما نجد في المقابل فيرث يتحدث عن مفهوم الصفة النحوية.

و هناك تقارب بين المفهومين من خلال العناية بالمعاني النحوية و تجاوز المعيارية الصارمة و ذلك من أجل الإفهام.

و كان يرى عبد القاهر الجرجاني أن النظم يقتضي المعنى دون إهمال اللفظ لأنهما توأمان.

يظهر المعنى عند فيرث من خلال الستفادة من أعمال (ديسوسير) في البنيوية اللغوية، لكون الكلمة عند علامة لغوية، و العلاقة بين اللفظ و المعنى، و الدال و المدلول اصطلاح غير معلل أي اعتباطي و عليه العلامة اللغوية اعتباطية[1].

يرى عبد القاهر الجرجاني أن يجب على من يضع كلامه أن يضع بحسب اقتضاء علم النحو و قوانينه و النظم يكون بالمعنى لا باللفظ.

و يرى هؤلاء أنصار فيرث أن المعنى لا يصح إلا إذا أصح صياغته و نحوه. فمثوا لذلك بقولهم: أنك لو قلت: (الولد حامل) جملة غير صحيحة معنا و لكنها صحيحة نحويا و المعنى يكمل النحو، فهي خاطئة صياغة، إذن المعنى هو الأصل في البناء.

تحدث الجرجاني عن الترتيب اللفظي الذي تعلق فيه الكلام بعضه ببعض و المعمي حيث تترتب المعاني في النفس فمثلا المسند و المسند إليه، فالمسند متقدم و المسند إليه متأخر و الصلة تتأخر عن الموصول.

تحدث فيرث و أتباعه عن الترتيب أو التركيب عندما تحدثوا عن الرتبة و الدقة.

[1]- فاطمة الزهراء نايلي، المصطلح اللساني عند عبدالقاهر الجرجاني من خلال كتابه" دلائل الإعجاز" دراسة في ضوء النظريات اللسانيات، جامعة البليدة ص98.

فالرتبة قصد و لها مقاييس و أحجام الوحدة النحوية[1] ومنها (المورفيم) كوحدة صرفية أدنى و الجملة هي رتبة أعلى.

أما الدقة فعدها معيار الصحة العبارة النحوية ففي التراث العربي تتوافق مفاهيم الرتبة و بما أن تراث الجرجاني جزء من التراث العربي طالب لبعض بتطبي فالمفهومين، مثلا الجملة قد تقع مكان أو موقع الكلمة الواحدة (جملة لها محل من الإعراب)، (و عليه داخل الرتبة توجد رتبة أخرى)[2].

عبد القاهر الجرجاني يرى أن النظم هو تعليق الكلم بعضها ببعض و جعل بعضها سببا من بعض، هذا التعليق يشترط فيه الانسجام مع الأحكام النحوية و قواعد النحو.

و النظم هو توالي و ترتيب الألفاظ و تناسبها مع دلالات و تلاقي المعاني على الوجه الذي يقتضيه الفعل.

و ما يراه فيرث أن النظم في الكلام هو طرق الرصف، يعد تطورا في مفهوم المعنى و هو يجعله بتواقف و فكرة النظم.

و هذا قال به أتباع فيرث كألمان الذي قال (الارتباط الاعتيادي لكلمة ما، في لغة ما لكلمات أخرى معينة أو هو استعمال وحدتين معجميتين متفصلين حيث تتشابك عادة الواحد بالأخرى)[3].

و هو يتقارب مع الجرجاني في ذلك ثم يقول (يرى الرصف وحدات معجمية محكومة بالارتباط وفقا لعلاقات معينة)[4].

[1]- استيتية ، اللسانيات، ص206.
[2]- أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص111
[3]- المرجع نفسه، ص111.
[4]- مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ص27

و الرصف عند المدرسة السياقية يقوم على:

- الاهتمام بالسياق اللغوي فقط (سياق لفظي) أو هو الكلمة و ما ينتظم معها من كلمة أخرى.
- الحملة تعد كاملة المعنى عندما تصاغ وفق قواعد النحو (الوقوع بين مفردات الجملة، تقبل أبناء اللغة)[1]

هذه الشروط تنبه لها الجرجاني حيث قال (و أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامة الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، و تحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها)[2].

و قد سمى الجرجاني قوانين النحو و النحات ب (معاني النحو) كما سبق ذكرها.

- التقى كل من فيرث و الجرجاني في الاهتمام بالرصف غير العادي في أساليب الكتاب و المبتدعين حيث حث الجرجاني عن طريق البيان و البديع فالنظم يتوخى ذلك.

و يصح القول أن اللفظ تبعا للمعنى في النظم و أن الكلمة تترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس.

و الجرجاني يربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغو ي و التركيب الذي قيلت فيه، و أن اللغة اللفظة لا تكتسب صاحتها إلا من خلال إيرادها في سياق الكلام و ملائمة معنانيها لمعنى جاراتها فقال (لا تفاضل من حيث هي الألفاظ مجردة و لا من حيث هي الكلمة مفردة و أ ن الألفاظ

[1]- عمر أحمد مختار، علم الدلالة، ص77
[2]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص122

تثبت لها الفضاية و خلافها في ملائمة معنى اللفظة المعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ)[1].

و هو يرجع الفضل و المزية في الألفاظ إلى السياق الذي ترد فيه.

ففصاحة الكلمة و ثرها في الملتقى تبتهج من خلال ربطها بتغييرها من الألفاظ. و هذا الأصل الذي ذهب إليه الجرجاني هو الأساسي الذي بنيت عليه النظرية السياقية الحديثة.

فالنظرية السياقية ترى أن الكلمة لا وزن لها خارج السياق، و حتى نتعرف على معنى هذه الكلمة يجب وضعها في سياق ما، حتى نعرف معناها الدقيق.

- النظرية السياقية كان لها جذور في التراث العربي القديم و قد نبتت في أحضان الحضارة الغربية فقامت برعايتها و بناء مكوناتها و أساساتها، حتى أصبحت حلقة مهمة من حلقات الدرس اللساني الحديث و الغربي النشأة.
- علاقة النظرية السياقية بنظرية النظم على سبيل المثال هي علاقة تأثير و تأثر و هذا ما يدل على أن جهود كل من الطرفين لا تقل أهمية أحدهما على الآخر.
- إن هذا التوافق بين النظريات العربية و الغربية دليل على أصالة التراث العربي و قدرته على التأثير في غيره من الحضارات.
- لقد كان السياق حضورا بارزا في كل النظريتين انطلق من القدماء معرفة له و انتقل إلى المحدثين ليصبح نظرية كاملة.

[1]- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص45،46.

المبحث الثالث: أوجه الاختلاف بين النظريتين

رغم وجود عدة أوجه للتشابه بين نظرية النظم عند الجرجاني و نظرة السياق عند فيرث إلا أنه يبقى هناك أوجه اختلاف.

- لفهم الكلام يرى عبد القاهر الجرجاني أن المعاني النحوية و المعجمية و الصور البلاغية المتداولة مرجعا بذلك للفهم.

أما فيرث فيركز على العلاقات الاجتماعية و أن السياق الاجتماعي أساس فهم الكلام.

- الاختلاف بينهما يكمن في الزمان و المكان و اللغة و تنوع المنهج و عليه وقع الاختلاف في الأفكار و المصطلحات و الأهداف.
- السياق يختلف عن النظم كونه يبحث في الدلالات المعنوية الآتية من مساق واحد و مدى انسجامها فيما بينها، فهي قطعة موضوعية من الحقائق العقلية و التشريعية و الكونية بها يحقق الفرد طريق النجاح.

الاختلاف كذلك هو أن كل طرف اهتم بطرف من العملية الكلامية أو الخطاب و حدد دور السياق فيه بحيث:

تنبه علم اللغة قديما إلى وظيفة السياق و دلالته على المعاني الحقيقية للكلام فربطوا الكلام بمقام الاستعمال و اعتمدوا السياق اللغوي و غير اللغوي في التقعيد النحوي. فمثلا اعتمد السياق اللغوي لتبيان مبنى التركيب و دلالته فجوزوا حذف أحد عناصر الجملة و طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب. أما السياق فهو مرتبط بحدود الصياغة و التركيب و الالتزام بقواعد اللغة و النحو و ترتيب الجمل كما اعتمدوا على المتكلم في توجيه السياق أثناء الكلام و استخدام اللغة.

أما المدرسة السياقية فترى ان المستمع أو المتلقي و المعني من الخطاب و اهتمامهم به فهو (السّامع) الذي تبدأ وظيفة السياق منه من خلال تحديد مجال الكلام و توجيه الدلالات للكلمات دون إغفال الظروف المحيطة الخارجية للعملية الكلامية (الظروف اللغوية) بتحديد المعنى.

فهذه المدرسة السياقية ترى ضرورة الاهتمام بالاستعمال اللغوي ثم المعنى، مهتمين جوانب العملية التواصلية للوصول إلى المعنى و تحقيقا للتواصل.

فالعملية التواصلية تتحقق حينما يفهم المستمع قصد المتكلم.

و من هنا يمكن التمايز و الاختلاف بين الفرقين في الاهتمام بالظرف من العملية الكلامية.

يختلف السياق عن النظم كونه يبحث في الدلالات المعنوية الآتية في السياق الواحد و مدى انسجامها فيما بينها و يرى فيرث (المعنى كلمة وظيفية في السياق) تحدده العلاقة بين المواقف و توزيع العناصر اللغوية فالسياق يبحث في ترابط المعاني في ألفاظها.

فالسياق علاقة المعنى و للنظم علاقة باللفظ بالمعنى، يقول الطبري حول هذا الاختلاف (و أشدهما اتساقا على نظم الكلام و سياقه).

عدت نظرية الجرجاني في (دلائل الإعجاز) زائد في تأسيس الدلالات السياقية كما رآها فريق من اللغويين أمثال نعوم شومسكي حيث قال (البنية العميقة أساس ذهني لمعنى معين يوجد في ذهن المتكلم و يرتبط بتركيب جملي أصولية)، و يكون هذا التركيب فعلا و تجسيدا للمعنى و هي النواة التي لا بد منها بفهم الجملة و تحديد معناه الدلالي).

و هو ما يراه الجرجاني من ربط اللفظ و المعنى فالألفظ خدموا المعاني تنتظم وحدها بطريقة تلازمية.

و حين اهتم منظروا السياق بجودة الشك و ائتلاف اللفظ أو فساد أو قبح النظم.

و عليه فنظرية السياق بين الجرجاني و فيرث ميزها اختلاف المصطلحات فكانت قضايا منها.

- الاشتراك اللفظي، الذي قال فيه الجرجاني أن هلا يمكن وضع مصطلح في اللغة دون الإبانة و اللغة في أصلها جاءت لذلك الطرح.

إن مدى ترابط المعاني و ترابطها في طريق واحد هو من أجل الوصول إلى أهداف محددة و السياق يبحث في ترابط المعاني بألفاظها، و هنا يمكن الفرق (للسياق علاقة معنى بمعنى و النظم علاقة لفظ بالمعنى).

- انتصر عبد القاهر للمعنى فقال (إذ الألفاظ خدموا المعاني) و يقول من نصر للفظ على المعنى كان كمن أزال شيء عن جهته و أحاله عن طبيعته.
- و النظم عند عبد القاهر هو تعلق الكلم بعضها سبب من بعض و الكلم ثلاث اسم و فعل و حرف و للتعليق فيما بينها طرق معلومة) و قال أيضا و أما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقضي في نظما أثار المعاني و ترتيبها على حسب ترتيبها في النفس، إذن النظم يعتبر فيه حال المنظوم يعرضه مع بعض، و ليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء كيف جاء، و اتفق و قال أيضا (و اعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك إن لا نظم في الكلام و لا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض...).
- يمكن القول كذلك أن فيرث ركز في نظريته السياقية على أن اللغة ظاهرة اجتماعية من صنع البشر. وأن الكلام ليس أقوالا بل أفعال تحتوي على الحدث الكلامي وقضايا محيطة بالنص سواء المكتوب أو المنطوق.

- ثم إن اللغة ليست مجرد إشارات وأدلة بل هي رصيد ثقافي واجتماعي يؤدي السياق دورا مهما في فهم المعاني.
- فربط بين الظاهرة اللغوية وفكرة الوضعية التواصلية أو المقام . ورطز على الصوتيات الوظيفة وعلم الدلالة.

وعليه يعد فيرث صاحب هذه النظرية السياقية، لكونه صاغها وتوسع فها فأصبحت نظرية متكاملة لغوية تلتقي في بعض الجوانب مع آراء اللغويين القدماء مركزا على العلاقات الداخلية والخارجية للنص.

خاتمة

خاتمة:

حاول فيرث تطبيق أفكار ماليونفسكي في أن الملفوظات من الكلام إنما تؤدي وظيفتها في إطار الموقف الخارجي و أن عناصر الوحدة اللغوية (الجملة) لا تعمل إلا في ضوء علاقتها بالعناصر الأخرى و هي الصعوبات التي واجهها مالينوفسكي حينها أراد ترجمة أدب الشعوب البدائية إلا أنه لا يمكن للنص أن يؤدي معنى إلا إذا وضعنا الكلمات في سياقها Contexte of sutuation لأن سياق الحال أو الظروف المحيطة بالحدث اللغوي الذي استخدمت فيه أ و نطقت فيه. هي جزء متمم لهذا الحدث كما ذهب فيرث إلى مراعات نوع آخر ن السياق أطلق عليه مصطلح (السياق اللغوي linguistique contexte) و يعني أنه مجموعة الوظائف المستفادة من عناصر أداء المقال التي تجوزها الوحدة اللغوية أي الجملة و قد عبر عن ذلك بقوله: the whole complex of finctcems which a linguistic form may have.

فمفهوم الوظيفة هنا يتحد مع مفهوم المعنى و عليه يصبح السياق اللغوي نبأ متكاملا من وظائف التي تؤديها عناصر هذا السياق.

و من أهم ما جاءت به نظرية فيرث هو:

01- النظرية المتساوية إلى عنصري السياق في عملية التحليل الدلالي و هذان العنصران هما: السياق اللغوي و سياق الموقف أو المقام و هو يضم السياق الثقافي مع ما حمله من فوارق اجتماعية و سمات شخصية و ثقافية للمتحدث و السامع.

02- النظرية المساوية إلى كل عناصر السياق اللغوي سواء كانت صوتية (نبر - تنغيم) أو صرفية أو نحوية و معجمية او دلالية.

03- الرفض المطلق لما سمي باللفظية الأساسي لأ ن كل وظيفة تؤدي دورا في المقام.

04- النظر التساوي إلى كل أنواع الاستخدام اللغوي فليس هناك استخدام تجريدي و الآخر ثانوي.

05- اللغة ليست نظاما شكليا فحسب و إنما هي جزء من النتاج الاجتماعي.

06- وحده الاستخدام اللغوي الأساسية هي الجملة.

07- المعنى أو الوظيفة في مفهومه متغيرة نتيجة ارتباطها بالكلام اللفظي.

نأمل أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا، شاكرين الله على توفيقه و منه علينا بأن استطعنا فهم ومقارنة و لو بشكل بسيط بين نظرية الجرجاني في نظرية النظم و ماجاءت به من ثورة في علم اللغة و إسناد للغة العربية ككل من خلال دراسة إعجاز القرآن الكريم لفظا و معنا و تركيبا. فهي إحدى القضايا التي اعتمدت عليها منجزات الليسانيات الحديثة، في اكتساب دلائل إعجاز اشتمل على كم هائل من المفاهيم اللسانية، و هو دليل كبير على وجود تقاطع بين النظم الجرجاني و اللسانيات من خلال دراسة السياق، إذ أن نظرية النظم في فكر الجرجاني لا يمكن أن تحيط بها، بحث محدود كهذا، فلا أحد يدعي أنه استطاع سبر أطوارها و الإحاطة بمفرداتها، فهم يقرون بدراسة جانب من جوانبها.

و عليه فقد سبق الجرجاني عصره بقرون كما استطاع القضاء على ثنائية اللفظ و المعنى و الأفاظ المعيارية.

و رغم أن دراسة السياق تخلت مجالا واسعا في الدرس اللغوي المعاصر مرتبطة بجهود علماء كثر نذكر منهم اللغوي الإنجليزي فيرث التي صارت نظريته متكاملة كغيره، اهتم بالسياق ومدى تأثيره على المعنى، دون الاهتمام بالظروف المحيطة به، بل وربط ذلك بفكرة (المقام) و(الحال) حيث وجدوا أن اللفظ المجرد من سياقه لا يكشف المعنى و هو نفس اهتمام الجرجاني حيث التقيا في الفكرة و اختلفا في الزمن و المكان و المنهج و المصطلحات.

فقد كان عبد القاهر الجرجاني الفضل و السبق في فكرة الموسوعي في الجانب البلاغي على فيرث مؤسس نظرية السياق. إذ كان يقصد ببيان الاعجاز الجرجاني من خلال الكشف التام عن إمكانات اللغة المتمثلة في تعانق النحو مع الدلالة و هو ما عرف بالنظم فهو ينطق من الخاص ليفهمه الجميع على عكس فرث فكان أحكام الجرجاني تصلح لكل لغة، و قد سبق غيره مثل (ديسوسير) في القول باعتباطية العلاقة بين اللفظ و المعنى (الدال و المدلول) فقال أنه ليس لها نظام أو قاعدة تحكمها بل يحددها السياق و الموقف الكلامي.

قائمة المصادرالمراجع

المراجع :

1- دلالة السياق : بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية د: عبدالفتاح عبدالعالي البركاوي

2- د.علي نجيب إبراهيم: جماليات اللفظة بين السياق ونظرية النظم

3- الدلالة السياقية عند اللغويين : أ.عواطف كنوش المصطفى

4- بوزبوجة عبدالقادر: نظرية السياق عند اللغويين والبلاغيين العرب رسالة دكتوراه

5- ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب نعيمة بن كرايو

6- النظرية السياقية في الدرس اللساني قديما وحديثا مقارنة

7- ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث اسماعيل

8- المصطلح اللساني عند عبدالقاهر الجرجاني من خلال كتابة (دلائل الإعجاز) دراسة في ضوء النظريات اللسانية

9- التنية والنظم عند الجرجاني تأصيل جذور الدرس اللساني

10- نظرية النظم لعبدالقاهر الجرجاني ودورها في شراء اللغة

11- نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها

12- نظرية النظم زهير بختي دحمور

13- النظم والنقد الجديد

14- الإنسجام في التراث البلاغي الغربي عند عبدالقاهر الجرجاني

15- البلاغة تطور وتاريخ

16- الأسلوب بين عبدالقاهر وجون ميري

17- صالح بلعيد، نظرية النظم

18- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، اعتنى به محمد علي زينو، بيروت، مؤسسة الرسالة، ناشرون، ط1، 2005، ص15

19- عبد القاهر الجرجاني :أسرار البلاغة ، تحقيق وقراءة: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

20- من موقع موهوبونhttp://www.mawhopon.net/?p=4327

21- من موقع الآداب/اللغوي-جون-روبرت-فيرث- /john-rupert-firth https://e3arabi.com

الفهرس

الفهرس

الشكر والتقدير .....

الإهداء .....

الإهداء .....

مقدمة.....أ

المدخل:..... 13

المبحث الأول: تعريف الجرجاني..... 18

المبحث الثاني: نظرية النظم عند الجرجاني 22

الفصل الثاني 31

المبحث الأول: تعريف جون روبرت فيرث 32

المبحث الثاني: النظرية السياقة عند فيرث..... 35

المبحث الأول: دراسة مقارنة بين النظريتين..... 42

المبحث الثاني: أوجه التشابه بين النظريتين 47

المبحث الثالث: أوجه الاختلاف بين النظريتين 54

خاتمة:..... 59

المراجع :..... 62

الفهرس 65